كتاب الأدب والمروءة

« عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين قال صالح بن جناح: اعلم ان العرب قد تسمي الشيء الواحد اسماء وتسمي بالشيء الواحد اشياء فاذا سمعت بذكر شيء فاذكره باحسن اسمائه فان ذلك من المروءة وانما المرء بمروءته فالمروءة اجتناب الرجل ما يشينه واجتناؤه ما يزينه وانه لا مروءة لمن لا ادب له ولا ادب لمن لا عقل له ولا عقل لمن اقل من ان في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره وشتان ما بين عقل وافر معه يحسنون عقلاً كلها واقل عقل اوفر منه ومن عقل وافر لا افادة معه وفي ذلك اقول شعراً:

وما ادب الانسان شيء كعقله * ولا زينة الا بحسن الأدب

وقال ان الافئدة مزارع الالسن فمنها ما ينبت ما زرع فيه من حسن ولا ينبت ما قبح ومنها ما ينبت ما قبح ولا ينبت ما حسن ومنها ما ينبت جميع ذلك ومنها ما لا ينبت شيئاً وان من المنطق لما هو اشد من الحجر وانفذ من الابر وامر من الصبر واحر من الأسنة وانكد من زحل ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ما هو احر منه وامر واقطع وانكد وفي ذلك اقول شعراً:

لقد اسمع القول الذي كاد كلما * يذكرنيه الدهر قلبي يصدع
فابدي لمن ابداه مني بشاشة * كأني مسرور بما منه اسمع
وما ذاك من عجب به غير انني * ارى ان ترك الشر للشر أقطع

وقال في ذي الوجهين: من اظهر ما تحب او تكره فانما يقاس ما اضمر بما اظهر لانك لا تقدر ان تعرف بما اسر وقال:

ليس المسيء اذا تغيب سوءه * عندي بمنزلة المسيء المعلن
من كان يظهر ما احب فانه * عنـدي بمنزلة الامير المحسن
والله اعلم بالقلوب وانما * لك ما بدا لك منهم بالالسن
ولقد ينال خلاف ذلك انما * لك ما بدا لك منهم بالاعين

وقال في المعشوق : اما بعد فقد احضرني من صدك ما آيسني من ودك ولم يزل يجري لي خطابك ما يدخلني في رفضك وبدا لي على غل صدرك وفي ذلك اقول شعراً :

تطل في قلبه البغضاء كامنة * فالقلب يكتمها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها * من كان من حزبها او من يعاديها
عيناك قد دلتا عيني منك على * اشياء لولاهما ما كنت ادريها
ان الامور التي تخشى عواقبها * ان السلامة منها ترك ما فيها

وقال في كثرة المال وقلته : لا تستكثر مال احد ولا تستقله حتى تعلم عياله فان من كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر

وقال في ذكر الاحمق ودخوله فيما لا يعنيه : واكثرهم دخولا فيما لا يدخل فيه وارتماء بما لا يكفيه — عدوه اعز سره من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه ولا يثق بمن نصحه ولا يتهم من خدعه ولا يأمن الا من يخونه ولا يحفظ الا من يحفظه ولا يكرم الا من يهينه اشبه شيء خلقاً بالشيء ان احسنت اليه لم يشكر وان اسأت اليه لم يشعر لا ينفعك من وجه الا ضرك من وجوه : ان اقبل عليك لم يسرك وان ادبر عنك لم يضرك ان افسد شيئاً لم يحسن ان يصلحه وان اصلح شيئاً افسده ان احببته فرأى منك حسناً لم يحسن ان يشكره وهو مع ذلك بخطئه اشد اعجاباً من العاقل بصوابه ان جلس الى العلماء لم يزدد الا جهلا وان جلس الى الحكماء لم يزدد الا طيشاً واما جعل عنه الحدث لم يمكنهم ان يكونوا المنصتين له اعيا الناس اذا تكلم وابلدهم اذا تعلم واصحبهم لمن يشينه وارفقهم لمن يزريه واشدهم في موضع اللين والينهم في موضع الشدة واجبنهم في موضع الشجاعة ان افتقر عجب من الناس كيف يستغنون وان استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون لا يهمه ان حدثته ولا يغمه ان اهمته ولا يقبل ان وعظته ولا يذكر ان ذكرته وفي ذلك اقول شعرا :

اراه يصرع ثم يشقى داؤه * والحمق داء ليس منه شفاء
والحمق طبع لا يحول مركب * ما ان للاحمق [illegible] دواء

وقال في ذكر الهوى : ان من الناس من اذا هوي عمي ومنهم من اذا هوي ابصر مرة وابي اخرى ومنهم من اذا هوي لم يكد يخفى عليه شيء وهو اللبيب العاقل الحازم الكامل الذي ان اعجبه امر نظر الى هواه وعقله فان اتفقا اتبعهما وان اختلفا اتبع

نفسه وترك هواه وكان امره معتدلاً يشبه بعضه بعضاً وقليل ما هم وفي ذلك اقول شعراً :

املك هواك اذا دعاك [illegible] * قاد القلب الى اصلاح هواه
الله يسعد من يشاء بفضله * واذا اراد شقاء اشقاه

وقال ايضاً سبحان الذي يحسن وجوههم عند حاجاتهم ويغير وجوههم عند غناهم شعراً :

ارى اقواماً وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن اوجههم علينا
ومنهم من [illegible] * [illegible] ما بينا
فان يك فعلهم [illegible] وفعلي * قبيحاً مثله فقد استوينا

وقال ينبغي لعاقل امرءٍ لا يحسن ان يحمل نفسه على الرأي من قبل ظهور عدة او حاجة بغير حجة او ضاربة بغير قوة فان الذي صرع نفسه وحتم هلكه وقتل نفسه فلا تلبث فقال احد ان لا صحبة له مصيب لكنه احسن الاعداد له واعرف مع ذلك عدته بامضى حجة واشد الرأي لا [illegible] وحدك [illegible] فان رأيت تقدماً الا كان التأخر قبل التقدم خيراً من الندم بعد التلف وفي ذلك اقول شعراً :

اذا ما اردت الامر فارقه كارهاً * وقسه قياس الكيس قبل التقدم
فيك عن مسألة من ندامة * فلا خير في امر اتى بالتندم

وان من الناس من يرزق حجة او عدة او قوة فيكون فيه من الرأي تخلطه ونفسه التي تصرعه وحجته التي تخصمه وذلك انه ربما ادل بالشيء قبل ان يعلم انه اعد الناس بعالم وثقته في الذي يلاحقه ويصارعه فاذا هو قد قتل او صرع او خصم ولم ينفعه وجود عدته ولا قوة حجته حين اتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول :

اذا ما اتيت الامر من غير وجهه * تشعب حتى لا ترى منه مرتقا
فان الذي يصطاد [illegible] * على [illegible] اتقى واحتقا

وقال في الذي يطلب الناس بمودته ويوجب حق نفسه عليهم لا تدع الناس الى برك واجلال امرك وتعظيم قدرك بالمحاباة ولكن ادعهم الى ذلك بما تستوجب منهم واعظم الامر الذي اكرم به من هو اعظم منك وقرب به من الناس اقرب منه اليه فانك ان لزمته لم تحتج معه الى معاناة ولا استبطاء حق لالك ان

دعوتهم الى تكرمتك بغير ما تستوجب التكرمة به فانما دعوتهم الى اهانتك اما بكلام يجرحك واما بفعال تفدحك وان دعاهم الى ذلك فضلك اجابوا اما بثناء يرفعك او بجزاء ينفعك .

وقال في معرفة الاخوان انك لن تعرف اخاك حق المعرفة ولن تخبره حق الخبرة ولن تجربه حق التجربة وان كنتما في دار واحدة حتى تسافر معه او تعامله بالدينار والدرهم او تقع في شدة او تحتاج اليه في مهمة فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته فانظر فان كان اكبر منك فاتخذه ابا وان كان اصغر منك فاتخذه ابنا وان كان مثلك فاتخذه اخا وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن وقال : كن من الكريم على حذر ان اهنته ومن اللئيم ان اكرمته ومن العاقل ان احرجته ومن الاحمق ان مازحته ومن الفاجر ان عاشرته ولا تدل على من لا يحتمل ادلالك ولا تقبل على من لا يحب اقبالك وكن حذراً كأنك غر وكن ذاكراً كأنك ناس والزم الصمت الى ان يلزمك التكلم فما اكثر من يندم اذا نطق واقل من يندم اذا لم ينطق واذا ابتليت فعند ذلك تعرف جودة سياستك وقلة زللك وسعة عفوك وقلة حيفك ومنفعة قوتك وحسن تخلقك واعلم ان بعض القول اغمض من بعض وبعضه ابين من بعض وبعضه اخشن من بعض وبعضه الين من بعض ولو كان واحدا فان الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو اخشن من الحديد وان الكلمة الخشنة لتخشن من القلوب ما هو الين من الحرير وان اعظم الناس بلاء وادومهم عناء واطولهم شقاء من ابتلي بلسان مطلق وفؤاد مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت واعلم ان ليس يحسن ان تجيب من لا يسألك ولا تسأل من لا يجيبك وفي ذلك اقول شعرا (١)

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

وقال في الرفق بالدواب : ان رفق الرجل بدوابه وحسن تعاهده لها وقيامه عليها عمل من اعمال البر وسبب من اسباب الغنى ووجه من وجوه المروءة : وقال التدبير مع المال القليل خير من المال الكثير مع سوء التدبير وانما المنفقون ثلاثة جواد مبذر وكريم مقدر ولئيم مقتر وفي ذلك اقول شعرا :

رب مال سينعم الناس فيه * وهو عن ربه قليل الغناء

---

(١) نسبة هذين البيتين الى نفسه من قبيل الوهم فهما من قصيدة النابغة الجعدي

كان يشقى به ويجمع حينا * ثم امسى لمعشر غرباء
ماله عندهم جزاء اذا ما * اكلوا فيه غير سوء الثناء
رب مال يكون محقا ووبالا * وغنى بعده سبيل الفقراء

وقال في تصنيف الطعام اذا كنت ممن يؤكل طعامه وتحضر مائدته ويؤكل معه فليكن الذي يتولى صنعة طعامك من اطيب الناس في نفسه وانظفهم في بدنه ولا تدع اطلاعه ان احسن ولا انذاره ان اساء فان نعمتك عليه نعم من اعيب الناس عليك واعلم ان لكل شيء غاية وان غاية الاطعمة التنظيف في الاصطناع والاكثار من الماء حتى يستوفيه البقلان والزيت والملح فانه لا اطيب الطيب من الماء ودونه المسك وما اشبهه من الاشياء والماء يدل على لطافة الرجل نقائه ونزاهته وانما يكون القذر في الحمق من الرجال والنساء وبه يستدل على بلادتهم وفي ذلك اقول شعراً

ولا خير فيمن الماء في الطيب كله * وما الطيب الا الماء في التطيب
وما الظرف الا الاحرار في كل مطعم * وما الظرف الا الاحرار في كل مشرب

وقال في صفة العدو والصديق احرص ان لا يراك صديقك الا الطف ما تكون ولا يراك عدوك الا احصن ما تكون فاما الصديق فان كل الذي تحبه منك خلاك او حلاك ولما كان يحبك فكلما ازددت حسنا كان حبه لك اكثر ورغبته فيك اوفر واكرامك عنده اكثر لك في صدره (١) وادوم له على عهدك واما العدو فليس شيء احب اليه من دمارك وخشاشتك فاحترس منه واظهر الجميل فليس شيء احب اليه من التمكن منك فاحذر ان لا يكون شيء احب اليك من التحصن منه

وقال في العقل والادب اعلم ان العقل امير وان الادب وزير فان لم يكن وزير ضعف الامير وان لم يكن امير مات الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف فان الصيقل اذا اعطي السيف الحديد صقله فعاد جمالا وسلاحا يعتمد عليه ويلجأ اليه فالصيقل الادب والسيف العقل فاذا وجد الادب عقلا صقله ورققه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف واذا لم يجد عقلا لم يعمل شيئا لانه لا يصلح الا ما وجد وان من السيوف لما يصقل ويسقى ويحدد ثم يباع بادنى الثمن ومنها ما يباع برده [illegible] وذلك على قدر الحديد وجودته او رداءته وكذلك الرجلان يتأدبان بادب واحد ثم يكون احدهما افضل من الآخر اضعافاً مضاعفة وانما ذلك على

---

(١) وجدت هذه الجملة بالاصل من غير نقط هكذا

قدر العقل وقوته في الاصل وفي ذلك قلت شعراً

وقد ينفع التأديب من كان عاقلا * وان لم يكن عقل فلن ينفع الادب

وقال في المراء: اذا اجتمع اهل نوع فتذاكروا فيما بينهم ذلك فلم يكن اهم لكل واحد منهم ان ينتفع بما اسمع وينتفع بما سمع فاعلم ان تذاكرهم ذلك من اول المراء. يصدع الفؤاد ويوهن الود ويورث الحقد ويبعث الشحناء ويغل القلب وفي ذلك اقول شعراً

تجنب صديق السوء واصرم حباله * فان لم تجد عنه محيصاً فداره
واحبب صديق الخير واحذر مراءه * تنل منه صفو الود ما لم تماره

وقال في الحكمة: اما بعد فاسمع من كثير من الحكمة فانه اوله شيء يخطر في الافئدة اذا خطر وهو اصغر من الخردلة وادق من الشعرة واوهن من العوضة ثم تحركه الالسنة وتشده الافئدة كما يحاك البرد وكما يمد النهر فيعود اكثر من الكثير واوثق من الحديد واثمن من الجوهر واحسن من الذهب وانفع من كل ما لا يزيد في المنطق ويذكي الفطن ويعين على الابلاغ ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء فينتفع به الاديب ويقبل به الضعيف ويتزيد به الكثيف ويتأيد به الضعيف ويزداد به الأيد قوة في منطقه وبلاغة في كتبه فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبهم والبلغاء في بلاغتهم وكتبهم والكرماء في رسائلهم والشعراء في قصائدهم واذا كنت ممن يؤلف حكمة او يضع رسالة او يذكر في مهمة فلا تكره قلبك ولا تكره ذهنك فانه اذا اكره كل ووقف ولكن ان كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له والتأخر عنه على التقدم فيه فان الذهن يجم كما يجم البئر ويصفو كما يصفو الماء.

وقال في الكلام واختياره: اعلم ان مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها ما هو اعز من الذهب والفضة ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه درهم وفي ذلك اقول شعراً

وما الحجر الكبير اعز قيما * عرفت بـه من الحجر الصغير
وكم ابصرت من حجر خفيف * صغير بيع بالثمن الكثير

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق: كن اسهل ما تكون وجهاً واظهر ما تكون بشراً واقصر ما تكون امداً واحسن ما تكون خلقاً والين ما تكون كنفاً واوسع ما تكون

اطلاقا على الايام والاشياء عقب ودول فان انكرت منها شيئا فربما كان (ما) انكرت منها شيئا حيفا على اهل الشهامة وعلى اهل الدهاء واحذر ان تحزن من يحبك وتفرح من يحسدك فلا ارى في مصائب الدهر مصيبة اوحش من تغير النعمة وانت ان لم تكد منها شيئا ودامت لك ما تريدها من الدنيا شيء الا له دعة ورفق الا وهو اما تعجيل ذهب واذهب فاما من كثر [illegible] فما يضيع الغضب والتضايق انهى هو العمر ونكد الدهر وفي ذلك اقول شعرا

وما شيء من الدنيا تمت به * الا استحق عليه النقص والغير
ولا تحسبن من قوم نعيمهم * الا تكدر منه الورد والصدر
فعد عنها ولن تلق امرأ ابدا * الا [illegible] من [illegible] يفتقر

وقال في الكذب :

كذبت من يكذب فان جزاءه * اذا ما اتى بالصدق ان لا يصدقا

وقال فيه ايضا

اذا ما رأيت المرء حالا لسانه * مكثورا فايقن انه لا حيا له
فلا خير في الانسان ان يكذب له * حياء ولا في كل من لا وفا له

وقال في الاخوان

ليس من كان في الرخاء صديقا * وعدو الصديق عند الرخاء
عدة في الشدة الصديق * اعدا الا عدة الاعداء
وظاهرا يلقى اخاه اصلين * لاشتريا اخاه بالغلاء
لو وجدنا اخا متينا امينا * لاتخذنا اخاه الشفاء

اما الرفقاء في السفر والجلساء في الحضر والخلطاء في القسم والشركاء في العلم وخلطاء صاحبتهم والصبر على اخلاقهم وفي ذلك اقول شعرا

وكنت اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محسنوهم * واجتنب الاساءة ان اساؤا
وابصر ما يعيبهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء
اريد رضاهم ابدا وآتي * مسبتهم واترك ما اشاء

لا تبتدئن احدا بما يكره ولا تكثره ولا تقبل عما يسخط ولا تكابره فان ابتداك احد بشيء من ذلك فقدرت على الانتصار منه فعفوت او انتصرت فما احسن

جميع ذلك الا ان الحلم اكرم والانتصار اعز وكلاهما حسن وفي ذلك اقول شعراً

(فاذا ذات يوم تجهله فيما عمت عليه من طرق الصواب .. ك
واي الناس الأم من سفيه * يقول ولا يجاب من الجواب

وقال في الجهل : اياك والجهل فانما تجهل على ثلاثة رجل انت اعز منه ورجل هو اعز منك ورجل انت وهو في العز سواء فاما جهلك على من انت اعز منه فلؤم واما جهلك على من هو اعز منك فحيف واما جهلك على من هو مثلك فهراش مثل هراش الكلبين ولن يفترقا الا مفضوحين او مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء والعلماء الحليم ارزن والجهول انقص وفي ذلك اقول شعراً

ما تم عقل ولا حلم بلا ادب * ولا تجاهل في قوم حليمان
ولا التجاهل الا ثوب ذي دنس * وليس يلبسه الا سفيهان

وقال في رؤية الرجل ومخبره ان من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند الخبرة اعجاباً (١٠) ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخبر تكون له اكثر بغضاً ومنهم من يعجبك مخبره ولا يعجبك منظره ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك مخبره وفي ذلك اقول شعراً

ترى بين الرجال العين فضلا * وفيما اضمروا الفضل المبين
ولون الماء مشتبه وليست * تخبر عن مذاقته العيون
فلا تحمد خليلك قبل خبر * فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال ايضاً في ذلك

وما صور الرجال بها امتحان * وما فيها لمختبر بيان
ولكن فعلهم ينبيك عنهم * به تجد الكرامة والهوان
وما الانسان لولا اصغراه * سوى صور يصورها البنان

وقال ايضاً

لم ار افضل كل امرئ * وجهه احسن من خبره
فهو كالغصن يرى مثمراً * انما يعجب من زهره
ثم يبدو بعده ثمر * فيكون السم في ثمره

وقال في النهي عن القبيح : واذا رأيت من احد امراً نهيته عنه فلم يحمدك ولم يندم نفسه على مكانه او يحدث حدثاً تعلم انه قد انتفع بمقالتك فان ذلك عيب

أخي قد بدا لك منه [illegible] البغي من الناس [illegible] وفي ذلك أقول شعراً :

ولا تعيبن عيوباً من قرابته * [illegible] كنت [illegible]
ولا تصحبن له الا [illegible] في * [illegible] كنت اقربه

وقال في المواخاة : لا تؤاخ الصديق الأول [illegible] ولا [illegible] حتى [illegible] والفاق [illegible] فانه [illegible] ان كان [illegible] ويرضى ويجيب ويحلم ويحفظ [illegible] على الشكر اذا [illegible] وعلى الصبر اذا [illegible] وعلى المكافأة اذا [illegible] الأخوان [illegible] معاتبة الصديق [illegible] .
[illegible] الى [illegible] في [illegible] من [illegible] وفي ذلك أقول شعراً :

واذا عتبت على امرئ [illegible] * [illegible] وسآمه
[illegible] * [illegible] الا [illegible] جوانبه

واحرص ان تعرف موقعك من كل أحد من [illegible] فان من السعادة ان تكون للاخوان فيما يحب ويكونوا لك فيما تحب . وما احب ان تكون له فيما يكره ويكون لك فيما تحب واعلم ان من العقل مداراة [illegible] الكريم الذي [illegible] الله [illegible] ولا [illegible] صحبته [illegible] وفي ذلك أقول شعراً :

من الناس من [illegible] لا [illegible] * ولكن من [illegible] لا [illegible]
حسبك في الأخلاء [illegible] * [illegible] الصديق من [illegible]

وقال في طلب الدنيا شعراً :

إنما الدنيا [illegible] * [illegible] معار
[illegible] * [illegible] فيه [illegible]
[illegible] * [illegible] فيه اصفرار
[illegible] * [illegible]

وقال في المداراة : [illegible] على [illegible] العرب [illegible] كثيراً من المداراة [illegible] من [illegible] مداراة
وفي ذلك أقول شعراً :

[illegible] لا [illegible] * [illegible] الارض ولا [illegible]
قد مات من [illegible] * [illegible] حسن [illegible]

ان جئت ارضاً اهلها كلّهم * عور فغمّض عينك الواحده

وقال لا تقاتلنّ احداً تجد من قتاله بدّاً فانما الحق لمن غلب ولا غالب الا الله وان آخر الدواء الكيّ فلا تجعله اولاً وفي ذلك اقول شعراً:

وكم رأينا من اخي غبطة * اصبح مسروراً وامسى حريبا
وكم فتى يركب طاحونة * الحرب قد اصبح فيها عطيبا

وقال في الاعسار والايسار:

كم من صديق لنا ايام دولتنا * وكان يمدحنا قد صار يهجونا
ان لا نحب ممن كان يصحبنا * ما كان اكثرهم الا يراؤونا
لم ندر حتى افتقرنا ما امارتنا * من كان ينصحنا او كان يغوينا
من كان يمقتنا ما كان يصحبنا * الا ليخدعنا عمّا بايدينا

وقال في الصلة والتفضل: لا يكن من وصلك احق بصلتك منك بصلته ولا من تفضل عليك اولى بالتفضل منك عليه فانما انت وهو كرجلين ابتدرا اكرومة فقصّر احدهما وبلغ الآخر فاما القاصر فقصّر عن حظ نفسه واما البالغ فبلغ الجميل امره وعظيم قدره.

وقال في الفقر اذا كان الرجل غنياً فثراه كامل ولكن لن يقدمه ذلك الى ما كان يسابق ولن يؤخره عما كان يحاذر الا بقدر ما يلحق به ما طلب ويسبق به ما يقطع وان من الناس من يؤتى معاشاً وعقلاً ولا يؤتى مالاً ومنهم من يؤتى مالاً ولا يؤتى غيره فيحتاج مع ماله الى عقل ذي العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل الى مال ذي المال ورفده ويجهز هذا بهذا وهذا بهذا (١) فليس لاحدهما غنًى عن الآخر فاحوج الملك الى السوقة واحوج السوقة الى الملك.

وقال في التفاضل: لا تقل فلان اغنى مني ولا اعلى منه فانه لو تمّ العقل والشدة والشجاعة والمال والحياء لذلك القوم ولتي قوم لا شيء لهم لهلكوا ولكن الله عز وجل قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فاوتي بعضهم عقلاً وبعضهم قوة وبعضهم مالاً مع اشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معايشهم ثم احوج بعضهم الى بعض فعاشوا ومثل الرجل ورزقه ومثل عقله وادبه ومروءته وحاله كمثل الرامي ورميته فلا بد للرامي من سهم ولا بد

---

(١) في الاصل [illegible]

لسهمه من قوس ولا بد للقوس من وتر ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به ما رشق ويصيب به ما يقابله ويجوز [illegible] فاصاب والا فلا شيء فالرامي الرجل والرمية الرزق ولا يجمع بينهما الا العقل ولا خير ولا شي من ذلك الا بالعقل وفي ذلك اقول شعراً :

فالقوس الاعضاء في كف صاحبها * يرمى بها النبل او يرمى بها البشر
او عود بال وان كانت معطلة * حتى يضم اليها السهم والوتر
وان جمعت لها هذين لم تجدها * حتى يساعد من يرمي بها القدر

وقال : ان احسن السمت وطول الصمت ومشي القصد من اخلاق الانبياء وان سوء السمت وترك الصمت ومشي الخيلاء من اخلاق الاشقياء فاذا مشيت فوق الارض فاذكر من تحتها وكيف كنت [illegible] كلكم [illegible] اما انا [illegible] ان ابن آدم اعز من الا [illegible] على الحمد مالم [illegible] ادنى شوكة وادنى مرض وادنى مصيبة فما اصابه شيء من ذلك وجدته النفس من الحدة وامن من البعوضة فلا يعرف لحده ونكره [illegible] عنه واستطالته وفي ذلك اقول شعراً :

ولا تمش فوق الارض الا تواضعاً * فكم تحتها قوم هم منك ارفع
فان كنت في عز وحرز ومنعة * فكم مات من قوم هم منك امنع

وقال في الغنى والقنوع : انما الغنى في القلب فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه وفي ذلك اقول شعراً :

اذا المرء لم يقنع بشيء [illegible] * وان كان ذا مال من الفقر موقر
اذا كان فضل الله يغنيك عنهم * فانت بفضل الله الغنى واليسر

وقال في الرأي والمشورة : اذا استشرت فانت احد [illegible] من يشير عليك امنع لك من الغلط (١) وابعد لك من الخطأ وامكن لك من الفكر واقرب لك من ظفره وفي ذلك اقول شعراً :

ومن الرجال اذا [illegible] الامور * من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول فينطق
فبذاك يطلق كل امر موثق * وبذاك يوثق كل امر يطلق
ان الحكيم اذا تفكر لم يكد * يلقى عليه من الامور الاوفق

وقال في النهي عن مخالطة اهل الاهواء والبدع ومجادلتهم : اما هذه الاهواء فاني

---

(١) في الاصل [illegible]

لم ار احداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمى لان امر الله اعز من ان تحيط به العقول ولم ار اثنين تكلما فيها الا رأيت لكل واحد منهما حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا بالشبهة والمغالطة واما الخصومة فلا ومن غالط في هذا او مثله فانما يغالط نفسه وعليها يجني وانما يخدع او اراد ان يخادع ربه والله اعز من ان يخدع وقد بلغنا ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لا تجادل اهل الاهواء فيرفعوا في قلبك شيئاً يوردك به الى النار فهذا امر نهى عنه موسى عليه السلام وقد اعطي التوراة فيها هدى الله وقد كلم الله موسى تكليماً فكيف بغيره من اهل الاهواء ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهوى والمراء فيه والجدل به ولم ار فيها ساقطاً ثم ولا كلاماً صحيحاً الا وفيه كلام بعده كثير فالسنة ان لا تتكلم في شيء من الاهواء بالهوى وبعد الاتباع للكتب المنزلة والسنن للرسل الصادقة وفي ذلك اقول شعراً :

اذا اعطي الانسان شيئاً من الجدل * فلا يعطه الا الذكي يعي العمل
وما هذه الاهواء الا مصائد * يصيد بها اهل التعمق والملل

وقال في النميمة: اياك والنميمة فانها لا تترك مودة الا افسدتها ولا عداوة الا جددتها ولا جماعة الا بددتها ولا [illegible] الا ازالتها لانه من عرف بها او نسب اليها ان يتحفظ من مجالسته ولا يؤمن ناحيته وان يزهد في مناكحته وان يرغب عن مواصلته وفي ذلك اقول شعراً :

تجنبت فيها النمّ والسعي انما * يفرق بين الاصفياء النمائم
فلا زلت مصوناً من كل آفة * ولا زال مقصوراً عليك اللوائم

وفي مثله اقول

كالسيل في الليل لا يدري به احد * من اين جاء ولا من اين يأتيه
فالويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يبليه

وقال: اذا قيل لك اي شيء اطول من الكلام واذا قيل لك اي شيء اقصر فقل الكلام لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لالف كلمة وقد يكون جوابها الف كلمة واكثر ولن تقدر على الكلام حتى تحصره ولن تحصره حتى تحذره وفي القول خطأ كثير وفي الصمت صواب فاسلك سبيل الصمت منه لا تصيب فائزاً منه ما لا تنفع احداً وخذ منه ما لا تقدر على تركه واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذره كما تحذر قاتله

وقال في تأديب النفس: اذا ابصرت بعض ما تكره من غيرك فاسرع الرجعة منه

قبل أن يقصره عنك من يشاركه واحمد الله الذي أحسن إليك وتعرّف عيوب نفسك وإياك الرجوع عن [illegible] وإذا [illegible] قبل أن [illegible] فاحسن [illegible] وفي ذلك القول شعرا

[illegible]

وقال في [illegible] من [illegible] مرتبة وإن [illegible] وفي ذلك القول شعرا

ولو كنت مثل [illegible] الا ما [illegible]
ولو كنت مثل [illegible] الا ما [illegible]

(تم) كتاب [illegible] صالح بن جناح [illegible] سنة [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

[illegible]

لم نقف على ترجمة [illegible] هذا الكتاب فيما بين أيدينا من الكتب وإنما رأينا له ذكرا في كتاب [illegible] حيث [illegible] قال في [illegible] عبد الله بن طاهر وهو

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقد [illegible] صالح بن جناح [illegible]

---

(١) [illegible]